

## من الرومان والفرس إلى الفلسطينيين أنفاق غزة: فنّ البقاء على قيد الحياة

ليس من قبيل المبالغة، أو الاستخفاف، القول بان الانفاق المقامة تحت قطاع غزة، هي الشريان الذي يمكن المقاومين الفلسطينيين من الصمود طوال اكثر من شهرين في وجه العدوان العسكري الاكثر شراسة في التاريخ الحديث حيث يعادل ما لقي عليها من متفجرات اكثر من قبيلتين نوويتين



ليس في ما يقال حول الانفاق ما يمس مكانة المقاومة واقتدارها، وانما على العكس تماما، اذا ان ما فعله الفلسطينيون فعليا او تطوير فن النجاة. ان قطاع غزة كما هو معروف محاصر بشكل كامل منذ نحو 17 سنة، وموارد الحياة فيه شبه ممنوعة، حيث لا مطار ولا موانئ ولا معابر تربط القطاع الفلسطيني بأي ارض عربية، بما في ذلك رفح الذي يسيطر الاسرائيليون على كل ما يدخل عبره ويخضعونه لتفتيشهم، واهوائهم، وقمعهم متى قرروا ذلك. كانت الانفاق هي سبيل الحياة المتاح، بعضها من اجل تهريب لقمة العيش، وبهذا المعنى فان الانفاق هي تعبير حقيقي عن التمسك بالحياة، حتى لو انها اصبحت تدريجا شريان المقاومة

ومنافذ التهريب الخاصة بها من اجل اقتناء ما يمكن من السلاح والرصاص والعتاد، ذلك انه على الرغم من ان الاحتلال اخلى مستوطناته من اراضي القطاع الفلسطيني في العام 2005، الا انه في المقابل، طوق غزة بكل ما اوتي من قواعد وانظمة مراقبة ورصد ودبابات والغام، ليبقي اهلها تحت رحمته. ولهذا، فان الانفاق هي حق فلسطيني في المطلق، ولا جدال فيه. الحاجة الاخرى الملحة التي فرضت نزول الفلسطينيين تحت الارض، انهم كانوا عرضة لاعتداءات اسرائيلية في العام 2005، تتراوح من الحملات العسكرية الكبيرة وصولا الى الاغتيالات المستهدفة بغارات لمقاتلات جوية او طائرات مسيرة (درون)، وكان الاحتلال بذلك

يصطاد كلما لاح امامه هدف من القياديين او المقاومين، وحيانا المواطنين العزل في منازلهم. خلال نحو 17 سنة، شن الاحتلال سلسلة من الحملات العسكرية الكبيرة، بينها عدوان الرصاص المصبوب (2008)، وعدوان عمود السحاب (2012)، وعدوان الجرف الصامد (2014)، وحارس الاسوار (2021) والفجر الصادق (2022). والقى الاحتلال خلال هذه الهجمات الاف الاطنان من القنابل المتنوعة القوة، ووقع عشرات الاف الفلسطينيين شهداء وجرحى، بينهم العديد من قادة فصائل المقاومة سواء في حركة حماس او حركة الجهاد الاسلامي وغيرهما.

وكلما كان ينتهي عدوان اسرائيلي، كان



وقعوا في قبضة المقاومة الفلسطينية، جرى احتجازهم داخل الانفاق حتى لا يكون بمقدور القوات الاسرائيلية تخليصهم بسهولة. بازاء ما يكاد يوصف بانه معجزة، من المعتقد ان هذه الشبكة تضم 1300 نفق يبلغ طولها حوالي 500 كيلومتر فيما يصل عمق بعض الانفاق الى 70 مترا تحت الارض، بينما تشير تقارير الى ان معظم هذه الانفاق يبلغ ارتفاعها مترين فقط وعرضها مترين.

وسجلت حوادث كثيرة لم يتجرأ الجنود الاسرائيليون خلالها على محاولة الدخول الى انفاق عثروا عليها في اطار غزوهم البري، بعد وقوع العديد من الجنود في كمائن جرى خلالها تفخيخ مداخل الانفاق. ونقل عن مسؤول امني اسرائيلي قوله ان كلمة انفاق لا تنصف ما انشأته حماس تحت قطاع غزة... انها مدن تحت الارض، بينما قال مسؤول اسرائيلي آخر ان الانفاق تشكل تحديا هائلا. لقد وضعت حماس داخل هذه الانفاق افخاخا متفجرة، بالاضافة الى عوائق تمنعنا من التحرك، مما يزيد من المخاطر على قواتنا.

قد تبدو هذه التصريحات الاسرائيلية محاولة من جانب الالة الدعائية للاحتلال لتبرير التعثر العسكري المتعدد الجوانب الذي يواجهه حتى الان سواء بانقاذ الاسرى، او العثور على انفاق مهمة لتدميرها، او القضاء على حماس مثلما حدد باهدافه منذ اليوم الاول للعدوان. الا ان صحيفة فايننشال تايمز ذكرت ايضا ان شبكة انفاق المقاومة في غزة، تعتبر اكبر من شبكة قطار انفاق لندن، وهي محصنة ضد طائرة الاستطلاع الاسرائيلية والضربات الجوية الاخرى. وبعد شهرين على الحرب، تقول الصحيفة ان كبار قادة حماس ومقاتليها تمكنوا من الاحتماء داخل الانفاق، ومعظمهم نجوا من الهجوم الاسرائيلي المستمر، ومن المعتقد ان حماس تحتفظ فيها بترسانتها من الصواريخ.

في كل الاحوال، ان الانفاق بدأ استعمالها في العصور القديمة من جانب الرومان والفرس حيث كانوا يحفرون تحت القلاع والحصون بالتسلل من اجل اقتحامها، كما ان الانفاق استخدمت خلال الاقتتال بين الجيش الروماني وبين قبائل باتافي الجرمانية المتمردة على

التي استهدف المقاومون من خلال المستوطنات الاسرائيلية ومواقعه العسكرية كالقواعد والمطارات وغيرها. ربما لم يكن في اماكن مقاتلي المقاومة الفلسطينية من الصمود طوال اكثر من شهرين لولا الانفاق، في ظل الغارات العنيفة التي كانت تدمر احياء بكاملها. كما انه من المعتقد بشكل واسع، ان الاسرى الاسرائيليين، او العدد الاكبر منهم، الذي

### كشف نفق!

تقول صحيفة فايننشال تايمز ان الخطوة الاولى هي تحديد موقع الانفاق. ومن الممكن ان تعمل اجهزة الرادار واجهزة الاستشعار الصوتية التي تخترق الارض، على الرغم من ان البيئته الحضرية الكثيفة في غزة والركام الذي خلفه القصف الجوي الاسرائيلي يحدان من فائدتها. هناك تكتيك ايسط يعرف باسم الشعر الارجواني، يتضمن الفاء قبيلة دخان في مدخل النفق، ثم يتم اغلاقه بعد ذلك برغوة متوسعة لمعرفة ما اذا كان الدخان سيظهر في مكان آخر.



مقاومان داخل احد الانفاق في غزة.

# سوبر ماركت رمال الأصلي

(أبو عامر)

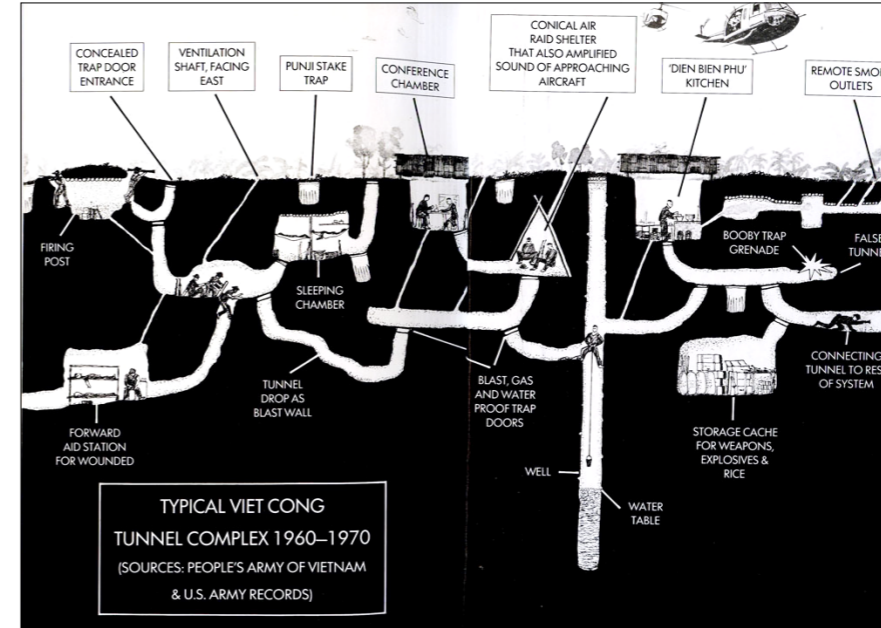
- |    |                                 |    |                             |
|----|---------------------------------|----|-----------------------------|
| 6  | بوليفار<br>كميل شمعون           | 1  | تحويلة<br>الغديرة           |
| 7  | الصرافند<br>الطريق البحري       | 2  | الجاموس                     |
| 8  | خلدة<br>الأوتوستراد             | 3  | الرويس                      |
| 9  | الطيونة<br>بيروت مول            | 4  | حارة حريك                   |
| 10 | صور<br>طريق الثكنة<br>الحوش     | 5  | النيطية - تول<br>مفرق حاروف |
| 11 | جبران مول<br>طريق المطار القديم | 12 | سان تيريز                   |
| 13 | كفردونين / بئر السلاسل          |    |                             |

10/10  
سلتنا الأوفر بلبنان

قريبًا  
توفير

نوعية

جودة



من انفاق المقاتلين الفيتناميين.



مقاتل فيتنامي في نفق في خلال القتال ضد الأميركيين.

وجه الاحتلال الياباني لاراضيهم، فيما كان اليابانيون يردون باغراق الانفاق بالمياه او الغازات السامة. الا ان ما عاناه اليابانيون بسبب الانفاق الصينية، عادوا واستخدموه بانفسهم ضد القوات الاميركية الغازية لجزيرتهم خلال الحرب العالمية الثانية كما جرى خصوصا في معركتي جزيرة بيليبو وابوجيما، ثم طوروا الاستخدام بتحويل جبل باكملة، هو جبل سورياتشي الى معقل كامل من الانفاق المدعمة لمحاربة القوات الاميركية. من المعلوم ان المقاومة في لبنان استخدمت الانفاق في فترة الاحتلال الاسرائيلي للبنان، حيث اقامت الانفاق في منطقة اقليم التفاح لمواجهة مواقع الاحتلال على سفوح الجبال، ولا يزال احد هذه الانفاق قائما ومفتوحا امام من يرغب من الزوار.

بحسب ما يقول معهد هادسون الاميركي، فإنه مقارنة بانظمة الاسلحة الاكثر تطورا المستخدمة اليوم، صمدت الانفاق امام اختبار الازمنة: فعلى مدى قرون، سمحت للوحدات العسكرية بالاقتراب من اعدائها من دون ان يتم اكتشافها، وساعدت المقاتلين الضعف على تحويل ساحة المعركة لصالحهم. لا توجد طريقة لمعرفة المدة التي ستستمر فيها الطائرات المسييرة او الليزر او انظمة الدفاع المضادة للصواريخ. لكن ما دامت هناك حرب، فمن المؤكد ان الانفاق ستكون جزءا من المعركة.

الجيش الفرنسي الى تشكيل فرق متخصصة لحروب الانفاق تضم جنودا قصيري القامة وسريعي الحركة، واطلق على هؤلاء الجنود اسم فئران الانفاق، وكان واحدهم يحمل مسدسا ومصباحا يدويا فقط كسلاح في هذه الاماكن المظلمة والضيقة والتي يتقن الفيتناميون استخدامها بصورة فعالة. وتطور استخدام الانفاق خلال الحرب العالمية الثانية مع تطور قدرات القصف والطيران الحربي، مما يوفر حماية اكبر للجنود على خطوط الجبهات، واستخدمها بكفاية المقاومون الصينيون في

## انفاق عبر العصور

وفق ما يقول معهد هادسون الاميركي، ادى حصار الامبراطورية الفارسية لمدينة دورا يوروبوس الرومانية في العام 256 الى تطور جديد آخر: عندما اصطدمت الجيوش الفارسية التي كانت تحفر انفاقا تحت اسوار المدينة بنفق روماني مضاد، قاموا بملئه بغاز سام مصنوع من القار والكبريت لخنق الجنود في الداخل، وهو ما يمثل اول استخدام معروف لحرب الغاز، فيما استمر فن حفر الانفاق والانفاق المضادة طوال العصور الوسطى.

روما والتي اعتمدت اسلوب حرب العصابات ضد القوات النظامية. في التاريخ الاسلامي، يمكن العودة الى غزوة الخندق والتي يطلق عليها احيانا غزوة الاحزاب التي وقعت في العام الخامس للهجرة، اي في العام 627 ميلادي، عندما اجتمعت مجموعة من القبائل من اجل غزو المدينة المنورة بهدف القضاء على الدولة الاسلامية الناشئة، حيث تقول الرواية الاسلامية ان قبيلة يهودية (بنو النضير) هي التي حرّضت القبائل ضد النبي محمد الذي قرر حفر خندق الى الشمال من المدينة لمنع مقاتلي القبائل من التقدم نحوها، مما افشل الهجوم.

اصبحت الانفاق السلاح الدفاعي الاكثر اهمية للجماعات المسلحة وحتى الجيوش، وهي استخدمت خلال الحرب الاهلية الاميركية وخصوصا في مدينة فيكسبيرغ في ولاية مسيسيبي في العام 1863 وفي مدينة بطرسبورغ في فيرجينيا العام 1864، بينما كان الاعتماد عليها على نطاق واسع، في الحرب العالمية الاولى. وقد تطورت الفكرة من حفر الانفاق من اجل التسلل، الى حماية المناطق من الهجمات، وحماية المقاتلين من قنابل الطائرات والمدفعية. ادت الانفاق ادوارا كبيرة خلال حرب فيتنام حيث استخدمها مقاتلو الفيتكونغ قصار القامة، مما اضطر الجيش الاميركي وقبله